# الحكمة في منظور القرآن الكريم دراسة موضوعية من خلال بعض الوقائع والأحداث أنموذجا

بقلم: د. حسان بوسرسوب
إمام مدرس بمسجد عبد الحميد بن باديس- ولاية سطيف
جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 02

## المقدمة:

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شاء من شيء بعد، الحمد لله الذي أوضح لعباده سبيل الهداية، وأزاح عن البصائر ظلمة الغواية، الحمد لله العليم الحكيم الذي عمت بحكمته الوجود، والصلاة والسلام على النبي المصطفى ﷺ ، والرسول المجتبى خير من دعا إلى الله على حكمة وبصيرة نبينا وقدوتنا محمد وعلى آل بيته الأطهار، وصحابته الأبرار، وعلى المهاجرين والأنصار، ومن اتبع دعوته وسار على نهجه ما تعاقب الليل والنهار وسلم تسليما كثيرا وبعد: لا ريب أنّ الحكمة والتبصر هي مصطلحات مترادفة ذات صلة وثيقة مع بعضها البعض، وهي من الكلمات الواردة في النصوص الشرعية على أصل معناها اللغوي غالبًا، وكلها تدور حول معانٍ ذات دلالات تثري العقل والفكر بما هو نافع ومفيد، وتؤثر في سلوك الفرد ذاته، وفي علاقته مع خالقه جل جلاله، ومع نفسه، ومع الآخرين، ومع الكون من حوله، فهي ذات فائدة فردية وأخرى متعدية للآخرين. وهذا ما نسعى إليه عند الحديث عن هذه المصطلحات وبيان مفهومها، وارتباطها بالنفس التي تعني الروح والجسد معًا وكلها تدور حول معانٍ ذات دلالات تثري العقل والفكر بما هو نافع ومفيد، وتؤثر في سلوك الفرد ذاته، وفي علاقته مع خالقه جل جلاله، ومع نفسه، ومع الآخرين، ومع الكون من حوله، فهي ذات فائدة فردية وأخرى متعدية للآخرين.

## الإشكالية ومطارحة الموضوع:

يعتبر موضوع الحكمة من بين المواضيع الهامة والحساسة، نظرا لتأثيرها وتأثرها بالعديد من المواضيع والظواهر الاجتماعية الأخرى، فهي جزء هام في البناء الاجتماعي، ورغم اتفاق العلماء بأنّها وجدت من أجل الحفاظ على استقرار المجتمع إلا أنّها لم تسلم هي الأخيرة من التغير والتغيير تبعا لما يحصل في هذا المجتمع من تغيرات وتحولات، ومن هذا المنطلق فإن الحكمة كذلك من أكثر السمات تأثرا بالإطار الثقافي والاجتماعي لكل مجتمع، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّه يمكن تعلم الحكمة واكتسابها عن طريق الالتزام بالمبادئ والسلوكيات التي جاءت في القرآن الكريم والسنة المطهرة إيمانا وعملا وخلقا وسلوكا، باعتبار الحكمة هي معرفة الأحكام الشرعية والعقدية والسلوكية والعمل بها، وإذا كانت تزكية النفس تمثل ثلثا، وتعلم الكتاب ثلث ثان، فإنّ تعلم الحكمة ثلث ثالث، ومن أخذ بالحكمة فقد أخذ بثلث الدّين ومن أضاعها أضاع الدّين ولا شك.

وتعتبر الحكمة مادة نجاح الناجحين، وسر فلاح المفلحين وتعلمها فقه في الدين، والعمل بها عمل بيقين، والمسلم مطالب أن يتعلم الصلاة والصيام، وفرائض الإسلام وهذا مما لا يغيب عن ذهن أحد، كما أنّ الفرد المسلم مطالب بأن يتعلم الأخلاق الإسلامية، والشمائل المحمدية، وهذه المسألة لا تغيب عن ذهن أحد، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الإنسان مكلف بالأخذ بأداة الحكمة علما وعملا حتى يتمكن من اكتسابها، وهذا ما غاب عن أذهان الكثيرين خاصة في الفترة الراهنة.

وفي نفس السياق ما يؤكد على اكتساب الإنسان للحكمة أنّ لقمان الحكيم عرف بأنه اكتسب الحكمة من غضه لبصره، وكفه للسانه، وعفته في طعامه، وحفظه فرجه، ووفائه بعهده، وإكرامه لضيفه، وحفظه لجاره، وتركه ما لا يعنيه. والعلاقة إذا هي وثيقة بين الحكمة والبصيرة، لأنّهما من أعمال القلوب والعقل، والله تعالى وصف الإنسان بأنه على نفسه بصيرة لأنّ البصيرة هي القدرة على النفاذ في الأشياء ومعرفتها، وحسن تقديرها وإحسان التصرف فيها ولذلك جعلهما الله أداتين، من أدوات الدعوة ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾

[النحل: 125] وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف: 108] وقد فسر سيدنا عبد الله بن عباس الحكمة بأنها النبوة وإذا كان الله ﷻ يقول عن سيدنا داود وسليمان ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: 78] فإن الحكمة تكون من النبوة أو قريبا منها وهذا ما جاء على لسان رسول الله ﷺ. ما أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء، والبيهقي والخطيب في تاريخ بغداد من حديث سويد بن الحارث حين جاءه وفد قبيلة الأزد إذ حكى سويد الأزدي قال: وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ. فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه ما رأى من سمتنا وزيّنا فقال: من أنتم؟ فقلنا: مؤمنون. فقال: إنّ لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟ فقلنا خمس عشرة خصلة، خمس آمنا بها، وخمس عملنا بها، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية ونحن عليها للآن، فإن كرهتها تركناها. فقال: فاذكروا ما عندكم. فقالوا: أما خمس الإيمان فهي: أن نؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت. وأما خمس العمل فهي: أن نشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأن نقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت إن استطعنا إليه سبيلا، وأما خمس الجاهلية فهي: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والرضا بمر القضاء، والصدق والثبات عند الحرب واللقاء، وترك الشماتة بالأعداء فتبسم رسول الله ﷺ وقال: أدباء فقهاء عقلاء حكماء، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء، من خصال ما أشرفها وأزينها وأعظم ثوابها، ثم قال رسول الله ﷺ : وأنا أزيدكم خمسا ليتم لكم عشرون، إن كنتم كما تقولون، فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه زائلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون، وارغبوا فيما أنتم عليه تقدمون، وفيه تخلدون[1].

وما نود الإشارة إليه هنا هو أنّ هذه الخصال هي مجموع الحكمة وآثارها ونتائجها لأنّ الأمة المسلمة والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص، مطالب بإدراك سر وجوده في الحياة على مستوى الأفراد والجماعة وفق قوانين الله في الكون وحسن التخطيط والتنفيذ

للأهداف في ميادين الحياة المختلفة هي أصل الحكمة وهدفها لأن الحكمة هي فهم كل إنسان لوظيفته في الحياة، وفهم المجتمع لوظائفه فيها وإتقان الأداء وفقا لمبادئ الإسلام ومقاصده، ولا شك أن تعلم الحكمة وفقه الحكمة لم يكن لهما نصيب في كتابات متخصصة ولا في مناهج التعليم عند المسلمين قديما بل وحتى حديثا مع ورود الحكمة دائما في القرآن الكريم والسنة النبوية باعتبارها من وسائل المسلم في الحياة والدعوة كأولئك الذين مدحهم رسول الله ﷺ بأنهم علماء حكماء فقهاء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء وهذه الحكمة هي التي جسدها المسلمون الأوائل في حياتهم منهجا وسلوكا، قولا وعملا وسيلة وهدفا.

ونتيجة لما سبق فإنّ هذا الموضوع شغل اهتمام الباحث لما له من أهمية كبيرة في هذا الزمان خاصة وأنّ الحكمة التي نكتسبها في الكبر بعد تجارب وخبرات طويلة، لا بد من أن نعلمها لشبابنا وهم صغارا حتى يختصروا مساحات كبيرة في حياتهم، فهم في حاجة ماسة إليها. وهذا ما دعانا إلى تخصيص هذه الدراسة، والبحث في موضوع الحكمة في القرآن الكريم، وعليه فإنّ المشكلة البحثية للدراسة الراهنة يمكن تحديد نطاقها وحدودها في التساؤل الرئيسي التالي وهو ما أدى بنا إلى التساؤلات التالية:

1 - ما مفهوم الحكمة والتبصر في القرآن الكريم.

2 - ما هو تفسير الحكمة في القرآن الكريم وفيما تتمثل أقسام وطرق اكتساب الحكمة؟

3 - ما هي النماذج القرآنية في الحكمة التي أتاها الله تعالى للأنبياء من خلال الوقائع والأحداث؟

4 - ما هي آليات المعالجة وسبل تفعيل أداة الحكمة في المجتمع من خلال منظور القرآن الكريم؟

وهذا ما نسعى إليه عند الحديث عن الحكمة وبيان مفهومها، وارتباطها بالنفس التي تعني الروح والعقل والجسد معًا والإنسان صاحب الإرادة هو الذي يرتقي بنفسه ويتحكم فيها، ويسيطر عليها لترتقي وتتهذب؛ حتى يصبح الفرد قادرًا على الوظيفة التي خُلِق من أجلها

وللإجابة على الإشكالية السابقة عمدنا إلى تقسيمها من خلال التطرق للمحاور التالية:

**المحور الأول: الإطار المفاهيمي والنظري لدراسة موضوع الحكمة والتبصر؟**

**المحور الثاني: تفسير الحكمة في القرآن الكريم وفيما تتمثل أقسام وطرق اكتساب الحكمة؟**

**المحور الثالث: النماذج القرآنية في الحكمة التي أتاها الله تعالى للأنبياء من خلال الوقائع والأحداث؟**

**المحور الرابع: عرض أهم النتائج وسبل وآليات المعالجة لتفعيل الحكمة وبعض التوصيات والاقتراحات.**

## المحور الأول: الإطار المفاهيمي والنظري لدراسة موضوع الحكمة والتبصر

### أولا: مبررات اختيارنا لهذا البحث نذكر منها يلي:

- أهمية موضوع الحكمة في حياتنا.

- الحاجة الملحة للحكمة في زمننا وعصرنا هذا.

- الحرص على معرفة أهمية ومعنى الحكمة في الدعوة إلى الله جلّ جلاله.

- التنبيه إلى ضرورة أخذ العظة والعبرة من أحوال الأمم السابقة في الأزمنة الغابرة.

- اهتمام الباحث بمثل هذه الأبحاث وكذلك قلة مثل هذه الدراسات في حدود علم الباحث.

### ثانيا: منهج البحث:

إذا كان المعهود أن تكون الدراسات التي تصنف علاجا هي دراسات تحليلية وتقويمية تأتى بعد دراسات وصفية سبقتها ومهدت لها، فالحقيقة أن هذه الدراسة نظرا لصغر لحجمها، وضيق وقتها، ومفاجأة مناسبتها فإنها تعتبر دراسة موضوعية نظرية تحليلية تمثل اقتراحا مبدئيا للموضوع من خلال ما يلي:

1. جمع الآيات التي تتضمن الحديث عن الحكمة ومرادفاتها، وكل ما يتعلق بها ويدور حولها في القصص والأمثال وغيرها.

2. تصنيف آيات القرآن الكريم حسب ما وردت دلالتها مبينا اسم السورة ورقم الآية.

3. وضع قائمة المصادر والمراجع وذلك بعد الخاتمة وتوصيات البحث.

## ثالثا: الدراسات السابقة:

لا ينكر الباحث ازدحام المكتبات الدينية وعلوم الشريعة والعلوم الاجتماعية بدراسات بذلت جهودا فائقة لكن موضوع الحكمة في القرآن الكريم التي ينشدها المجتمع لم يحظ بالبحث الجاد وكذلك عدم وجود دراسات علمية متخصصة تناولت موضوع الحكمة في القرآن الكريم بحسب ما وقفت عليه بعد البحث والتقصي. فيما أتيح لي للإطلاع عليه في الإطار المحدود في مكتبات عامة و أكاديمية كثيرة. ونظرا لأنّ الدراسة ليست نقدية ولا مقارنة فإنها لم تتبع العرف المنهجي السائد بذكر الدراسات السابقة والإعتماد عليها.

## رابعا: أهمية موضوع الحكمة:

لا شك أنّ للحكمة أهمية كبيرة في حياة الإنسان في أي مجال من المجالات وتظهر أهمية موضوع الحكمة في القرآن من خلال التأمل في العناصر التالية:

1 - أنّ لفظ «**الحكيم**» وقد تكرر هذا الاسم في القرآن الكريم قرابة ثمانين مرة، فالله هو العزيز الحكيم.

2 - أنّ القرآن الكريم قد وصفه بأنه الحكيم فهو إسم من أسماء الله الحسنى جلّ جلاله.

3 - أنّ الحكمة جعلها الله صفة لأنبيائه جميعا وامتدحهم بها في القرآن الكريم.

4 - لأهمية الحكمة امتدح الله تعالى من تعلمها وأخذ بها وعمل بها وجعلها سلوكا فكريا وماديا في حياته ومعاملاته

5 - أنّ الله تعالى قد أمر بالحكمة فقال جلّ جلاله: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ [سورة النحل: آية 125].

6 - أنّ الله أثنى على صاحب الحكمة فقال جلّ جلاله: ﴿ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ [ سورة البقرة: آية 268].

7 - أنّ الله نسب الحكمة إلى نفسه، وجعل إيتاءها من عنده فقال: ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾ [سورة البقرة: آية 268].

8 - أنّ الحكمة هي الفقه في دين الله كما فسرها كثير من السلف.

9 - أنّ الحكمة هي ضالة المؤمن، متى وجدها فهو أحق بها.

10 - الفهم الخاطئ لمعنى الحكمة من قبل كثير من الناس في المجتمع

ومن خلال ما سبق تتضح لنا أهمية الحكمة، بل أهمية دراستها في مثل هذه الملتقيات في ضوء القرآن الكريم.

## خامسا: فوائد الحكمة في ضوء القرآن الكريم:

1 - فيها دلالة على كمال عقل صاحبها وعلو شأنه، وهذا يجعله قريبا من الناس، حبيبا لقلوبهم، ومهوى أفئدتهم، يقول فيسمعون، ويأمر فيطيعون؛ لأنهم يدركون أن رأيه نعم الرأي، ومشورته خير مشورة.

2 - أنها طريق إلى معرفة الله جلّ جلاله، موصلة إليه، مقربة منه، وحينها ينقطع العبد عمن سواه، ولا يطمع في غيره.

3 - أنها سمة من سمات الأنبياء والصّالحين، وعلامة للعلماء العاملين، ومزية للدعاة المصلحين.

4 - أنها ترفع الإنسان درجات وتشرفه، وتزيد من مكانته بين الناس.

5 - من أهم فوائد الحكمة، الإصابة في القول والسداد والعمل.

6 - أنها تدعو صاحبها للعمل على وفق الشرع[2].

## سادسا: تحديد مفاهيم البحث:

أ. / تعريف الحكمة في اللغة والإصطلاح.

**01 - التعريف اللغوي للحكمة:** كما في القاموس؛ «الحكمة بالكسر: العدل، والعلم، والحِلم، والنبوَّة، والقرآن، والإنجيل. وأحكمه: أتقنه فاستحكم، ومنعه عن الفساد، كحكمه حكما»[3]. ويقصد بها ما أحاط بحنكي الفرس، سُميت بذلك؛ لأنها تَمنعه من الجري الشديد، وتذلل الدابة لراكبها، ومنها: اشتقاق الحكمة؛ لأنها تَمنع صاحبها من أخلاق الأرذال، وأحكم الأمر؛ أي: أتقنه فاستحكم، ومنَعه عن الفساد، أو منعه من الخروج عما يريد، والحكمة تمنع من الجهل[4]. وكذلك "الحكمة: وضع الشيء في موضعه[5].

و"الحكمة من العلم، والحكيم العالم وصاحب الحكمة. والحكيم أيضا المتقن للأمور"[6].

**02 - الحكمة في الاصطلاح العام:**

الحكمة: هي نقل ما ينبغي عن الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي، وهي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، والحكمة علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي في الوجود بقدر الطاقة البشرية، فهي علم نظري غير آلي، وهي هيئة القوة العقلية العلمية المتوسطة بين الغريزة التي هي إفراط هذه القوة والبلادة التي هي تفريطها، وقيل: هي وضع الشيء في موضعه، وقد فسَّر ابن عباس الحكمةَ في القرآن بتعلُّم الحلال والحرام، وقيل: العلم مع العمل[7].

**03 - الحكمة في الإصطلاح الشرعي:**

العلم والفقه المستند إلى النظر الخاص، والفهم الدقيق، قالَ تَعَالَى:

﴿ يُوتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة البقرة: آية 268]. والحكمة مسحة ملك على قلب العبد، وهي نور يقذفه الله جَلَّجَلَالُهُ في قلب العبد، وقيل: هي الفقه في دين الله، أو أمر يدخله الله القلوب من رحمته وفضله. ولهذا سميت السُنّة النّبوية في كثير من المواضع بالحكمة، وأينما قرنت الحكمة بالكتاب العزيز، فالمراد بها السُنّة النّبوية[8].

**04 - الحكمة عند علماء الأصول:**

الحكمة: هي الحاجة إلى تحصيل المصلحة ودفع المفسدة[9]. وقيل: هي الغاية المطلوبة من التعليل، وهي جلب المصلحة أو دفع المفسدة[10]. وقيل: الحكمة جلب مصلحة أو تكميلها، أو دفع مفسدة أو تقليلها[11]. وهناك العديد من التعريفات عند علماء الأصول للحكمة. إذًا فالحكمة بالمعنى الشامل لكل ما مضى: عبارة عن العلم المتّصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله جَلَّجَلَالُهُ، المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق، والعمل به، والصدّ عن إتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك[12]. وتأتي الحكمة بمعنى السنّة وبمعنى النبوّة وبمعنى الفقه، وبمعنى الفهم وحجة العقل وبمعنى الفطنة.

**ب. /: مفهوم التبصُّر:** هو خُلُق من أخلاق القرآن الكريم، ولا شك أن هذا الخُلق أصبح عملةً نادرةً في زماننا، هذا الخُلق تحدَّث عنه الله تعالى في كتابه

العزيز، هذا الخلق حثَّ أستاذُ البشرية سيدُنا محمدٌ ﷺ أمتَه على التخلُّق به، هذا الخلق يُبعِد صاحبه عن كل رذيلة ويقربه إلى كل فضيلة؛ إنه خلق «التبصُّر.

التبصّر: معناه التأمُّل والتعرُّف، والتّبصير: التعريف والإيضاح.

**01 - البصيرة:** معناها الحُجَّة وهي التمهُّل والأناة في تبين الأمور وكشفها، والسير في علاجها على بصيرة ورشد،

**02 - التبصر:** بهذا المعنى هو خلُق حث عليه القرآن، وطلب من المسلم أن يكون صاحبَ تفكر وتدبُّر وتمهل، وألا تغُره المظاهر، بل يحاول أن يستنبط حقائق الأمور، ويستدل بالعلامات والإرشادات على النتائج والغايات، فيكون له ذلك مرشدًا يهديه، وقائدًا يقود قلبه وعقله إلى سواء السّبيل؛ قال تعالى:

﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (104) ﴾ [الأنعام: 105]، وقال أيضًا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (201) ﴾ [الأعراف: 201]، فإذا هم أهل بصيرة وعلم وتدبر وتفكُّر، فلا يَقبلون لأنفسهم طاعةَ الشيطان ولا التأثُّر بوسْواسه، ويتفطَّنون لمَداخله فيفرون منها. بل ننظر كيف يحرص القرآنُ الكريم على خلُق التبصُّر؟ وذلك عن طريق الأمثال الواعظة؛ فيقول تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الملك: 23]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ (19) وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ (20) وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ (21) وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ... ﴾ [سورة فاطر: 19 - 22]، وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة هود: 24]؛ كل ذلك لينبِّه المسلم إلى هذا الخُلق العظيم؛ وهو خلق التبصُّر[13].

## سابعا: فضل الحكمة في القرآن الكريم

ورد لفظ الحكمة في القرآن الكريم عشرين مرة، في تسع عشرة آية، في اثنتي عشرة سورة، وقد ورد لعدة معان والحكمة لها فضل عظيم ويظهر ذلك في كثرة ورودها في القرآن الكريم وأن الله

ﷻ قد وصف ذاته بها في آيات القرآن الكريم. . قال تعالى: ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ [سورة البقرة: 31] هذا تقديس وتنزيه من الملائكة لله تعالى أن يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء، وأن يعلموا شيئا إلا ما علّمهم الله تعالى، ولهذا قالوا: ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة البقرة: 31] أي: العليم بكل شيء، الحكيم في خلقك وأمرك وفي تعليمك من تشاء ومنعك من تشاء، لك الحكمة في ذلك، والعدل التام[14].

## ثامنا: فضل الحكمة في السنة النبوية الشريفة

من الأحاديث النبوية الدالة على فضل الحكمة والتي توضح فضل الحكمة عند السّلف: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال: **((اللهم علمه الحكمة))**. وقال البخاري الحكمة: الإصابة في غير النبوة[15].

قال ابن حجر: (اختلف الشراح في المراد بالحكمة هنا، فقيل: القرآن، كما تقدم، وقيل: العمل به، وقيل: السّنة، وقيل: الإصابة في القول، وقيل: الخشية، وقيل: الفهم عن الله، وقيل: العقل، وقيل: ما يشهد العقل بصحّته، وقيل: نور يفرّق به بين الإلهام والوسواس، وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة، وبعض هذه الأقوال ذكرها بعض أهل التفسير في تفسير قوله تعالى: ولقد آتينا لقمان الحكمة، والأقرب أن المراد بها في حديث ابن عباس رضي الله عنه: الفهم في القرآن[16].

وكما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ((لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا؛ فسلّطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة؛ فهو يقضي بها ويعلّمها)) [17].

إن من أتاه الله الحكمة فقد أتاه خيرا كثيرا وأيُّ خير أعظم من خير فيه سعادة الدّارين والنجاة من شقاوتهما! وفيه التخصيص بهذا الفضل وكونه من ورثة الأنبياء، فكمال العبد متوقف على الحكمة، إذ كماله بتكميل قوتيه العلمية والعملية فتكميل قوته العلمية بمعرفة الحق ومعرفة المقصود به، وتكميل قوته العملية بالعمل بالخير وترك الشر، وبذلك يتمكن من الإصابة

بالقول والعمل وتنزيل الأمور منازلها في نفسه وفي غيره، وبدون ذلك لا يمكنه ذلك. وقد قيل في الحكمة: إذا ما أردت النطق فانطق بحكمة وزن قبل نطق ما تقول وقوّم.

## المحور الثاني: تفسير الحكمة في القرآن الكريم وأهم أقسام وطرق اكتساب الحكمة

### أولا: تفسير الحكمة في القرآن الكريم على عدة معاني:

**1 - الحكمة بمعنى السّنة وبيان الشرائع:** ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة البقرة: آية 128] وقال ابن القيم رحمه الله: (الحكمة في كتاب الله نوعان: مفردة، ومقترنة بالكتاب، فالمفردة فسّرت بالنبوّة، وفسّرت بعلم القرآن).

وقال ابن عباس رضي الله عنه: هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه و متشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله.

**2 - الحكمة بمعنى النبوة والرسالة:**

قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة البقرة: آية 249 ]. وقال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (20)﴾ [سورة ص: آية 19] وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (63)﴾ [سورة الزخرف: آية 63].

**3 - الحكمة بمعنى الفقه:** قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ سو ر ة البقر: آية 268].

**4 - الحكمة بمعنى الفهم وحجة العقل وفقاً للشريعة:** قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [سورة لقمان: آية 11].

**5 - الحكمة بمعنى العظة:** قال تعالى: ﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [سورة القمر: آية 05][18].

**ثانيا: أقسام وطرق اكتساب الحكمة وتعلّمها:**

**الحكمة:** كما ذكرنا فيها جانب الهبة من الله ﷻ وجانب الاكتساب والتعلّم، فمن وفّقهُ الله؛ أعطاه الحكمة ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سورة البقرة: آية 268]. ولأنَّ الحكمة خلق حسن وصفة يمكن اكتسابها وتعلّمها، لأنَّ الله ﷻ يقول: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [سورة البقرة: آية 150]. وفي حديث رسول الله ﷺ ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها. فما هي أقسام الحكمة وما هي طرق اكتسابها وتعلّمها؟

**أ. / أقسام الحكمة:** الحِكْمَة من حيث الاكتساب وعدمه تنقسم إلى قسمين:

حِكْمَة فطريَّة: يؤتيها الله ﷻ من يشاء، ويتفضَّل بها على من يريد، وهذه لا يد للعبد فيها، وهي التي عناها عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه حينما كتب إلى أبي موسى الأشعري: إنَّ الحِكْمَة ليست عن كِبَر السِّن، ولكنَّه عطاء الله يعطيه من يشاء، فإيَّاك ودناءة الأمور، ومُرَّاق الأخلاق.

حِكْمَةٌ مكتسبةٌ: يكتسبها العبد بفعل أسبابها، وترك موانعها، فيسهل انقيادها له، وتجري على ألفاظه التي ينطق بها، وتكتسي بها أعماله التي يفعلها، ويشهدها النَّاس على حركاته وسكناته.

**ب. / طرق اكتساب الحكمة وتعلمها:**

**01 - قراءة القرآن الكريم:**

قراءة تدبّر وتفكّر وتأسّي، ثم الإلتزام بالسّلوك الخلقي الحكيم؛ وذلك بالإقتداء برسول الله ﷺ في سيرته وسلوكه وخلقه وحكمته ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [سورة القلم: آية04] وسئلت السيدة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت: فإنَّ خلق نبيّ الله كان القرآن[19].

والقرآن الكريم ينمي في القارئ عقله

ويزيد في إمكاناته وملكاته العقلية من خلال التدبّر والتفكّر والتأمّل والإدراك والفهم والتصوّر، فيصل إلى كمال العقل وسموّه؛ فتصبح الحكمة عنده ملكة وعادة، والله سبحانه يقول: [سورة الإسراء: آية 53]. والأحسن هي عين الحكمة.

### 02 - الإقتباس من وصايا الحكماء:

من أراد توفيق الله له بأخذ الحكمة والعمل بها، عليه أن يخلص لله ويصدقه حتى يكتسب الحكمة ويأخذ من وصاياهم ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [سورة لقمان: 11] فهذه الآيات جامعة لمظاهر الحكمة في الإيمان والعقيدة والسّلوك مع الله ومع والديه، ومع الناس، وتدل على أنَّ الحكمة يمكن اكتسابها وتعلّمها بالإلتزام بما جاء في هذه الوصايا عملا وسلوكا وخلقا وإيمانا، كما تدل على أنَّ الحكمة هي معرفة الأحكام الشرعية والعقدية والسلوكية والعمل بها. ولأنَّ الحكمة تكتسب بمخالطة الحكماء ومساءلة العلماء ومجالسة الكبراء، حث عليها رسول الله ﷺ حيث أنَّ سنّته القولية والفعلية وما أقرّه وما أجاز من أحوال هي الحكمة التي قال عنها الله جل جلاله لزوجاته. ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿34﴾﴾ [ سورة الأحزاب: آية 34 ].

### 03 - العمل بالعلم:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- قال غير واحد من السّلف: الحكمة معرفة الدّين والعمل به.[20] لأنَّ العلم بلا عمل لا قيمة له عند الله، ومن الحكمة العمل بما يعلم ومطابقة القول العمل لأنَّ الله تعالى يحذر الفصل بينهما فيقول الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿2﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿3﴾﴾ [سورة الصف: آية 02-03]. ويقول عن المنافقين الذين يبطنون ما لا يظهرون. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿8﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿9﴾﴾ [سورة البقرة: آية 07-08]. ويشترط في العمل شرط الإخلاص

ورضاء الله وفضله وإحسانه لأنها هي التي تكسب الحكمة. وروي في أهمية الإخلاص لله في طلب العلم والعمل به؛ أنَّ أبا حامد بلغه أن من أخلص لله أربعين يوما تفجّرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، قال: فأخلصت أربعين يوما فلم ينفجّر شيء، فذكرت ذلك لبعض العارفين فقال لي: إنك أخلصت للحكمة ولم تخلص لله"، لأنَّ الإنسان قد يكون طلبه للعلم والحكمة؛ الوجاهة والشهرة، وتعظيم الناس له ومكانته عندهم، أوغير ذلك... فالإخلاص لله مقصود به مرضاته وتوفيقه وأجره.

**04 - الخبرة بالتجربة:**

تكتسب الحكمة من تجارب الإنسان في الحياة وتراكم الخبرات عنده، لذلك كان الأنبياء أعظم الناس تجربة وأكملهم خلقا، وأكسبهم للحكمة، فهم خلاصة البشر والرحمات المهداة إلى البشر لإخراجهم من ظلام الكفر إلى نور الإسلام والإيمان، ولأنّ في رعي الغنم تجارب وخبرات وصفات لا يكتسبها إلا من مارس الرعي فإنَّ الله ﷻ ما بعث نبيا إلا وكان رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت يا رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة، وفي رواية قالوا: أكنت ترعى الغنم يا رسول الله؟ قال: (وما من نبي إلا وقد رعاها)، فالأنبياء يكتسبون من رعي الغنم خلق الصبروقوة التحمل، والحلم والشفقة بها، فيعينهم على تحمل أعباء الدعوة والرسالة، فهم يرعونها ويجمعون بينها إذا تفرقت ويدافعون عنها، ويتعلّمون اختلاف طبائعها وعوائدها وعقولها فيرفقون بضعيفها، ويرحمون صغيرها، ويجبرون كسورها، ويصبرون على أحوالها، ويحسنون على رعايتها وتعهدها، ويتعودون على مشقّاتها. وهذا كله هو الذي يهيّئهم ويصقلهم ويعلّمهم حمل الرسالة ورعاية البشر وتوجيهم لعبادة ربهم، و الغنم تتفرق أكثر من غيرها فالأنبياء خبروا أقوامهم، وعرفوا طباعهم وعوائدهم، وفي الحديث (لا حليم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة).

**05 - الاستقامة:**

الإستقامة هي كلمة جامعة أمور الدين، وردت تسع مرات في القرآن الكريم، فمنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ

﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [سورة فصلت: آية 29].

فالاستقامة هي الاعتدال دون غلوّ ولا مبالغة، لأنه ضد الطّغيان وهو مجاوزة الحد في كل أمر، وقد سئل الخلفاء الأربعة عن الإستقامة -وهم أعظم الأمة استقامة بعد رسول الله ﷺ- فقال أبو بكر ألا تشرك بالله شيئا لأنَّ من استقام على التوحيد استقام في كل أمره على الصراط المستقيم، عملا وقوة وعلماً أما سيدنا عمر رضي الله عنه فأجاب أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تزوغ زوغان الثعلب أما سيدنا عثمان رضي الله عنه فأجاب أخلصوا العمل لهم. وقال سيدنا علي وعبد الله بن عباس آتوا الفرائض، وقال مجاهد استقاموا على شهادة لا إله إلا الله حتى الحقوا بالله وقال الحسن فعلوا بطاعته، واجتنبوا معصيته، والمطلوب من العبد الاستقامة وهي السداد فإن لم يقدر عليها فالمقاربة، فإن نزل عنها فالتفريط والإضاعة.

والإستقامة كلمة جامعة للقيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء، تتعلّق بالأقوال والأفعال والنّيات.

## ثالثا: بيان المراد من الحكمة التي علمها الرسول ﷺ أمته.

يقول ابن جرير الطبري عند قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (129) ﴾ [ سورة البقرة: آية 128] أنَّ الرسول ﷺ علّم الأمة لفظ القرآن، ومعناه؛ لقوله تعالى: ويعلّمكم الكتاب والحكمة؛ ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم إذا استشكلوا شيئا من المعنى، سألوه، فعلمهم، ولكن الغالب أنهم لا يستشكلون؛ لأنه نزل بلغتهم، وفي عصرهم، يعرفون معناه، ومغزاه، وأسبابه. ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ ﴾ [سورة البقرة: آية 128] وهذه دعوة إبراهيم وإسماعيل لنبينا محمد ﷺ خاصة، وهي الدعوة التي كان نبينا ﷺ يقول: أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى. ومن فضل الله عليك يا محمد مع سائر ما تفضل به عليك من نعمه، أنه أنزل عليك الكتاب، وهو القران الذي فيه بيان كل شيء، وهدى وموعظة {وَٱلۡحِكۡمَةَ} يعني وأنزل عليك مع الكتاب الحكمة، وهي ما كان في

الكتاب مجملا ذكره، من حلاله وحرامه، وأمره ونهيه وأحكامه، ووعده ووعيده[21].

وقال الطاهر ابن عاشور: والحكمة العلم بالله ودقائق شرائعه وهي معاني الكتاب وتفصيل مقاصده، وعن مالك: الحكمة معرفة الفقه والدّين والإتباّع لذلك[22]. وقال أيضا عند قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ ﴾ [سورة البقرة: آية 128] أي في الأمّة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل، وقيل: من أهل مكة. وعند قوله تعالى ﴿ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ أي مرسلا أراد به محمد ﷺ.

وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة: آية 128]؛ لأنَّ المقام هنا للإمتنان على المسلمين. فقُدم فيها ما يفيد معنى المنفعة الحاصلة من تلاوة الآيات عليهم، وهي منفعة تزكية نفوسهم؛ اهتماما بها، وبعثا لهما بالحرص على تحصيل وسائلها، وتعجيلا للبشارة بها، فأما في دعوة إبراهيم فقد رتبت الجمل على حسب ترتيب حصول ما تضمنته في الخارج، مع ما في ذلك التخالف من التفنُّن[23]. وفسر ابن كثير قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: آية 128] يقول الله تعالى مخبرا عن تمام دعوة إبراهيم لأهل الحرم أن يبعث الله فيهم رسولا منهم، أي من ذرية إبراهيم، وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر الله السّابق في تعيين محمد صلوات الله وسلامه عليه رسولا في الأميين إليهم وإلى سائر الأعجميين من الإنس والجن[24]. ولقد بينت هذه الآيات أن الله تعالى بعث محمد ﷺ للناس استجابة لدعوة أبينا إبراهيم عليه السلام ليعلّمهم الكتاب وهو القرآن الكريم والحكمة وهي السنة وأسرار الشرائع والفقه.

## المحور الثالث: النماذج القرآنية في الحكمة التي أتاها الله تعالى للأنبياء من خلال الوقائع والأحداث.

بما أن موضوعنا مستمدّ من كتاب الله تعالى ومعالجتنا له في منظور القرآن الكريم وعلى هذا الأساس سنحاول ذكر بعض النماذج والأمثلة التي تبين لنا منهج الحكمة كما عرضها القرآن الكريم من خلال بعض الوقائع والأحداث.

**أولا: الحكمة التي أتاها الله تعالى آل إبراهيم عليه الصلاة والسلام.**

إنَّ قصة آل إبراهيم كما ذكرها الله في القرآن هي قصة جميلة ولن نقف عندها بالتفصيل، ولكن نشير إلى موضع الحكمة:

فقد ذكر ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى:﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [ سورة النساء: آية 53].

يعني بذلك حسدهُم النبي ﷺ على ما رزقه الله من النبوة العظيمة، ومنعهم من تصديقهم إياه حسدهم له، لكونه من العرب وليس من بني إسرائيل. وجاء عن ابن عباس في قوله أم يحسدون الناس الآية، قال ابن عباس: نحن النّاسُ دون النّاسِ، قال الله تعالى: فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما. أي فقد جعلنا في أسباط بني إسرائيل، الذين هم منهم من ذرية إبراهيم النبوّة وأنزلنا عليهم الكتب وحكموا فيهم بالسُّنن، وهي الحكمة، وجعلنا منهم الملوك ومع هذا فمنهم من آمن به، أي بهذا الإيتاء وهذا الإنعام، ومنهم من صد عنه أي كفر به وأعرض عنه وسعى في صد الناس عنه، وهو منهم ومن جنسهم أي من بني إسرائيل. فقد اختلفوا عليهم، فكيف بك يا محمد ولست من بني إسرائيل؟ وقال مجاهد: فمنهم من آمن به، أي محمد ﷺ ، ومنهم من صد عنه، فالكفرة منهم أشدُ تكذيبا لك، وأبعد عما جئتهم به من الهدى، والحقِ المبين، ولهذا قال متوعّدا لهم وكفى بجهنم سعيراً أي وكفى بالنّار عقوبة لهم على كفرهم وعنادهم ومخالفتهم كتب الله ورسله.

واعلم أنَّ الكتاب إشارة إلى ظواهر الشّريعة والحكمة إشارة إلى أسرار الحقيقة، وذلك هو كمال العلم، وأما الملك العظيم هو كمال القُدرة. وقد ثبت أن الكمالات الحقيقية ليس إلا العلم والقدرة، فهذا الكلام تنبيه على أنه سبحانه آتاهم أقصى ما يليق بالإنسان من الكمالات، ولما لم يكن ذلك مستبعداً فيهم لا يكون مستبعداً في حق محمد صلى الله عليه وسلّم. وقيل: إنهم لمّا استكثروا نساءه قيل لهم: كيف استكثرتم له التسع، وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلاثمائة بالمهر وسبعمائة سرية[25].

**ثانيا: الحكمة التي أتاها الله جل جلاله داود عليه الصلاة والسلام.**

ذكر ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ [سورة البقرة: آية 249]. لما واجه حزب الإيمان، وهم قليل من أصحاب طالوت، لعدوهم أصحاب جالُوت، وهم عدد كثير قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً أي أنزل علينا صبراً من عندك وثبت أقدامنا أي في لقاء الأعداء، وجنبنا الفرار والعجز وانصرنا على القوم الكافرين. قال الله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ [سورة البقرة: آية 249]. ذكروا في الإسرائيليات أنه قتله بمقلاع كان في يده، رماه به فأصابه فقتله، وكان طالوت قد وعده إن قتل جالوتُ أن يزوجه ابنته، ويشاطره نعمتهُ، ويُشركه في أمره، فوفّى له ثم آل الملك إلى داود عليه السلام مع ما منحه الله به من النبوّة العظيمة، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ أي وأتاه الله الملك الذي كان بيد طالوت والحكمة أي النبوّة وعلمه مما يشاء[26].

والحكمة هنا هي وضع الأمور مواضعها على الصواب والصلاح، وكمال هذا المعنى إنما يحصل بالنبوّة، فلا يبعد أن يكون المراد بالحكمة هاهنا النبوة، فإذا كان المراد من الحكمة النبوة، فلم قدّم الملك على الحكمة؟ مع أن الملاّك أدون حالا من النبوّة. قلنا: لأن الله تعالى بيّن في هذه الآية كيفية ترقّي داود عليه السلام إلى المراتب العالية، وإذا تكلم المتكلم في كيفية الترقي، فكل ما كان أكثر تأخرا في الذكر كان أعلى حالا وأعظم رتبة[27].

**ثالثا: الحكمة التي أتاها الله تعالى عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام.**

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴾ [سورة المائدة: آية 112] و التخصيص على النّعمة بالعلم والشرع والحكمة، وأنها أخص من مطلق النّعمة؛ لأن مطلق النّعمة سبق في قوله تعالى: ﴿ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ﴾

[سورة المائدة: 112]. أمّا العلمُ فخصّه بقوله: ﴿ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾. وعلى هذا فيجب على طالب العلم أن يشكر الله تعالى على نعمته عليه؛ حيث خصه بالعلم الذّي حرمه كثيرا من الناس، وإذا منّ الله عليه بالعبادة والدّعوة إلى الله صار نعمةً فوق نعمةٍ، مما يدعوه إلى المثابرة والصبر على ما هو عليه من طلب العلم، وازدياد العبادة، وقوة الدعوة إلى الله جل جلاله، فالقول في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾ . أي واذكر نعمتي عليك حين علّمتك الكتابة والحكمة، وهي العلم النافع مع التّوراة والإنجيل. وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾ [سورة المائدة: 112] يقول: واذكر أيضا نعمتي عليك " إذ علّمتك الكتاب " وهو الخط، والحكمة، وهي الفهم بمعاني الكتاب الذي أنزلته إليك، وهو الإنجيل[28].

وقوله تعالى ﴿ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [سورة المائدة: 112]. فالكتاب يشمل الكتب السابقة، وخصوصا التوراة، فإنه من أعلم أنبياء بني إسرائيل بعد موسى عليه السّلام بها، ويشمل الإنجيل الذي أنزله الله عليه.

والحكمة هي: معرفة أسرار الشرع وفوائده وحكمه، وحسن الدعوة والتعليم، ومراعاة ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي.

**رابعا: الحكمة التي أتاها الله u غير النبيين مثل لقمان الحكيم.**

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴾ [لقمان: آية 11] وقال سعيد ابن المسيب: كان لقمان أسود من سودان مصر ذا مشافر، أعطاه الله تعالى الحكمة ومنعه النبوة، وعلى هذا جمهور أهل التأويل أنه كان وليا ولم يكن نبيّا. والصواب أنه كان رجلا حكيما بحكمة الله تعالى وهي الصّواب في المعتقدات والفقه في الدّين والعقل[29]. وجاء في جامع البيان يقول تعالى ذكره: (وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ) الفقه في الدين والعقل والإصابة في القول وجاء في التفسير الميسّر في شرح الآية ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ ... ﴾ [لقمان: آية 12].

أي لقد أعطينا عبدا صالحا من عبادنا (وهو لقمان الحكمة، وهي الفقه في الدّين وسلامة العقل والإصابة في القول، وقلنا له: اشكر الله بنعمه عليك، ومن يشكر لربه فإنما يعود نفع ذلك عليه، ومن جحد نعمه فإن الله غني عن شكره، غير محتاج إليه، له الحمد والثناء على كل حال[30].

وهذا النموذج وإن لم يكن نموذج للإمامة ولا للحجّية المصطفاة، إلاّ أنّه نموذج على الهبة اللدنية الإلهية، وهي ليست مقام نبوّة أيضاً. نعم الحجّية في الحكمة هو في ذاتها ومقالاتها حيث إنّها منطوية على الدليل والبرهان، وهاهنا نقاط يُلفت إليها:

1 - تشير الروايات إلى أنّ لقمان لم يصل إلى الحكمة إلاّ بعد أن واظب على جملة من السّنن، منها أنّه لم يكن يتكلّم إلاّ عند الحاجة.

2 - وتشير أيضاً إلى أنّه قبل أن يُمنح هذا المقام خيّربين النبوّة والحكمة فاختار الحكمة، على العكس من داود.

3 - يظهر أنّه مقام لدني كالنبوّة بحكم التخيير.

ويستفاد من هذه نتيجتان مفصليتان بعد الالتفات إلى النقاط التالية:

1 - أنّ لقمان ليس نبيّاً باتّفاق الجميع.

2 - أنّ المستعرض لحكمة لقمان في القرآن هو الله تعالى، أي لم تُعرض حكمته في القرآن على لسان نبيّ وإنّما على لسان الحقّ تعالى.

3 - لم يذكر حجّية حكمة لقمان من جهة عرضه على نبيّ أو من جهة إقرار القرآن لها، وإنّما حجّيتها من جهة تضمّنها للدليل.

4 - إنّ حجّية الحكمة هي من حجّية العقل، وحجّية العقل تلازم حكم الشرع; لأنّه كلّ ما حكم به العقل البديهي أو النظري المبدّه حكم به الشرع، فهو لا يختلف روحاً عن التشريع الظاهر، وإن كان تشريعاً باطناً كما يسمّى العقل بالرسول الباطن.

من ثمّ وبعد أن عرفنا أنّ طبيعة الحكمة ليست إلاّ علماً خاصّاً أُودع من قبل الله تعالى في فطرة لقمان بنحو البسط، فهي لا تختلف عن العلوم الفطرية التي يمتلكها البشر جميعاً من

هذه الزاوية، إلاّ في أنّها أوسع نطاقاً من الآخرين.

وقال ابن عاشور في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: آية 12]. كان أول ما لقنه لقمان من الحكمة هو الحكمة في نفسه بأن أمره الله بشكره على ما هو محفوف به من نعم الله التي منها نعمة الاصطفاء لإعطائه الحكمة وإعداده لذلك بقابليته لها. وهذا رأس الحكمة لتضمنه النظر في دلائل نفسه وحقيقته قبل النظر في حقائق الأشياء وقبل التصدي لإرشاد غيره، وأن أهم النظر في حقيقته هو الشعور بوجوده على حالة كاملة والشعور بموجده ومفيض الكمال عليه، وذلك كله مقتض لشكر موجده على ذلك.

وأيضا فإن شكر الله من الحكمة، إذ الحكمة تدعو إلى معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه لقصد العمل بمقتضى العلم، فالحكيم يبث في الناس تلك الحقائق على حسب قابلياتهم بطريقة التشريع تارة والموعظة أخرى، والتعليم لقابليه مع حملهم على العمل بما علموه من ذلك، والعمل من الشكر إذ الشكر قد عرف بأنه صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من مواهب ونعم فيما خلق لأجله؛ فكان شكر الله هو الأهم في الأعمال المستقيمة فلذلك كان رأس الحكمة لأن من الحكمة تقلع العلم بالأنفع على العلم بما هو دونه؛ فالشكر هو مبدأ الكمالات علما، وغايتها عملا[31].

**خامسا: الحكمة في الدعوة إلى دين الله تعالى.**

قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [سورة النحل: آية 125] القول في تأويل قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: { ٱدْعُ } يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته ويقول: إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه، وهو الإسلام { بِٱلْحِكْمَةِ } يقول بوحي الله الذي يوحيه إليك وكتابه الذي ينزله عليك {ه ه} يقول: وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكرهم بها في تنزيله[32].

أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح {بالحكمة} أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده. ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرّفق واللّين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدّعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح.

وكذلك إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به. وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والأجل وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل، فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا[33].

أدع -أيها الرسول الكريم- الناس إلى سبيل ربك أي: إلى دين ربك وشريعته التي هي شريعة الإسلام بالحكمة أي: بالقول المحكم الصحيح الموضح للحق، المزيل للباطل، الواقع في النفس أجمل موقع.

وأضاف - سبحانه - السبيل إليه للإشارة إلى أنه الطريق الحق، الذي من سار فيه سعد وفاز، ومن انحرف عنه شقي وخسر. وقوله تعالى: {وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} وسيلة ثانية للدعوة إلى الله تعالى أي: وادعهم إلى سبيل ربك بالأقوال المشتملة على العظات والعبر التي ترقق القلوب، وعذب النفوس، وتقنعهم بصحة ما تدعوهم إليه، وترغبهم في الطاعة لله تعالى وترهبهم من معصيته جل جلاله وقوله تعالى: {وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} بيان لوسيلة ثالثة من وسائل الدعوة السليمة[34].

جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه: يدعى بطريق الحكمة. والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر: يدعى بالموعظة الحسنة. وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب

والترهيب. والمعاند الجاحد: يجادل بالتي هي أحسن. هذا هو الصحيح في معنى هذه الآية. والحكمة إذا اقترنت بالدعوة فإنها تقوي الأمل واليقين.

لابد على الدّاعية أن يتخيّر الأوقات وينتهز المناسبات، وهذا معلم كبير ومؤثر من معالم الحكمة وتلمّسها.

مراعاة التدرج وترتيب الأولويات ما قيل في طبقات المدعوين، وطبائع النفوس، وملاحظة المناسبات.. يقابله نظر آخر في المدعو إليه فلا شك أن الحكمة تقتضي النظر في متدرجات أمور الدعوة، لأخذ الناس بالأول فالأول والمداراة صورة من صور التعامل الدال على الحكمة، والموصل إلى المقصود مع حفظ ما للداعي والمدعو من كرامة ومروءة[35].

وليعلم الداعية أن للحكمة درجات منها:

1. أن تعطي كل شيء حقه، ولا تعديه حده، ولا تعجله عن وقته، ولا تؤخره عنه.

2 - معرفة عدل الله في وعيده، وإحسانه، وعدله في أحكامه الشرعية والكونية الجارية على الخلائق، فإنه لا ظلم فيها ولا جور.

3 - البصيرة وهي قوة الإدراك، والفطنة، والعلم، والخبرة. وليعلم أيضا أن للحكمة أركان ودعائم تقوم عليها، وكل خلل في الداعية إلى الله فسببه الإخلال بالحكمة، فأكمل الناس: أوفرهم منها نصيبا، وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال أقلهم منها ميراث.

والأركان التي تقوم عليها الحكمة، هي ثلاثة: 01. العلم، 02. والحلم، 03. والأناة.

والداعية إذا التزم السلوك الأخلاقي الحكيم كان ذلك من أعظم طرق اكتساب الحكمة، ومن أسباب توفيق الله له في دعوته، وفي أموره كلها، واستقامته، وحسن سيرته، وأدعى لقبول دعوته[36].

**سادسا: الحكمة بالاعتبار من أحوال الأمم السابقة:**

قال تعالى: ﴿ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ [القمر: 05] وقوله (حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ) يعني بالحكمة البالغة: هذا القرآن، ورُفعت الحكمة ردا

على «ما» التي في قوله: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ﴾ [القمر: 04].. وتأويل الكلام: ولقد جاءهم من الأنباء النبأ الذي فيه مزدجر، حكمة بالغة. ولو رفعت الحكمة على الاستئناف كان جائزا، فيكون معنى الكلام حينئذ: ولقد جاءهم من الأنباء النبأ الذي فيه مزدجر، ذلك حكمة بالغة، أو هو حكمة بالغة فتكون الحكمة كالتفسير لها[37].

**1.1. حكمة بالغة:**

حكمة بدل من ما وبالغة صفة حكمة، (ما) الفاء حرف استئناف وما نافية (عن) مضارع (النذر) فاعله والجملة استئنافية لا محل لها وقوله تعالى: ﴿ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ ﴾ بدل من «ما» أو خبر لمبتدأ محذوف. والحكمة: العلم النافع الذي يترتب عليه تحرى الصواب في القول والفعل. أي: هذا الذي جاءهم من أنباء الماضين، ومن أخبار السابقين فيه ما فيه عن الحكم البليغة، والعظات الواضحة التي لا خلل فيها ولا اضطراب. و«ما» في قوله: أما عن الثأر نافية، والنذر: جمع نذير بمعنى منذر. أي: لقد جاء إلى هؤلاء المشركين من الأخبار ومن الحكم البليغة ما يزجرهم عن ارتكاب الشرور، وما فيه إنذار لهم بسوء العاقبة إذا ما استمروا في غيهم، ولكن كل ذلك لا غناء فيه، ولا نفع من ورائه لهؤلاء الجاحدين المعاندين الذين عموا وصموا. ويصح أن تكون «ما» هنا، للاستفهام الإنكاري. أي: ما الذي تغنيه النذر بالنسبة لهؤلاء المصرين على الكفر؟ إنها لا تغني شيئا ما داموا لم يفتحوا قلوبهم للحق[38].

ولقد جاءهم في القرآن من الأنباء أنباء القرون الحالية أو أنباء الآخرة. ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب أو وعيد، وتاء الافتعال تقلب دالا مع الذال والدال والزاي للتناسب. حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما أو خبر محذوف، وقرئ بالنصب حالا من ما فإنها موصولة أو مخصوصة بالصفة نصب الحال عنها. فما تغن النذر نفي أو استفهام إنكار، أي فأي غناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر، أو المنذر منه أو مصدر بمعنى الإنذار[39].

**1. 2. وللقصص في القرآن الكريم** حكم كثيرة وعظيمة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1. بيان حكمة الله تعالى فيما تضمنته هذه القصص.

2 - بيان عدله تعالى بعقوبة المكذبين.

3 - بيان فضله تعالى بمثوبة المؤمنين.

4 - تسلية النبي ﷺ عما أصابه من المكذبين له.

5- ترغيب المؤمنين في الإيمان بالثبات عليه والازدياد منه، إذ علموا نجاة المؤمنين السابقين، وانتصار من أمروا بالجهاد.

6 - تحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم.

7 - إثبات رسالة النبي ﷺ فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله جل جلاله. من القصص القرآنية ما لا يأتي إلا مرة واحدة، مثل قصة لقمان، وأصحاب الكهف، ومنها ما يأتي متكررا حسب ما تدعو إليه الحاجة، وتقتضيه المصلحة، ولا يكون هذا المتكرر على وجه واحد، بل يختلف في الطول والقصر واللين والشدة وذكر بعض جوانب القصة في موضع دون أخر.

**1. 3. الحكمة في هذا التكرار:**

1 - بيان أهمية تلك القصة لأن تكرارها يدل على العناية بها.

2 - توكيد تلك القصة لتثبت في قلوب الناس.

3 - مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها، ولهذا تجد الإيجاز غالبا فيما أتي من القصص في السور المكية والعكس في السور المدنية.

4 - بيان بلاغة القرآن في ظهور هذه القصص على هذا الوجه وذاك الوجه على ما تقتضيه الحال.

5 - ظهور صدق القرآن، وأنه من عند الله تعالى، حيث تأتي هذه القصص متنوعة بدون تناقض.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[سورة يوسف: 111].

يقول تعالى: لقد كان في خبر المرسلين مع قومهم، وكيف نجينا المؤمنين وأهلكنا

الكافرين عبرة لأولي الألباب وهي العقول، ما كان حديثا يفترى أي وما كان لهذا القران أن يفترى من دون الله، أي يكذب ويختلق ولكن تصديق الذي بين يديه أي: من الكتب المنزلة من السماء وهو يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير، وحكم عليها بالنسخ أو التقرير.

وتفصيل كل شيء من تحليل و تحريم ومحبوب، ، وغير ذلك من الأمر بالطاعات والواجبات والمستحبات، والنهي عن المحرمات وما شاكلها من المكروهات، والإخبار عن الأمور الجلية، ومن العيوب المستقبلة المجملة والتفصيلية، والإخبار عن الرب تبارك وتعالى وبالأسماء والصفات، وتنزهه عن مماثلة المخلوقات، فلهذا كان هدى ورحمة لقوم يؤمنون تهتدي به قلوبهم من الغي إلى الرشاد، ومن الضلال إلى السداد، ويبتغون به الحكمة من رب العباد، في هذه الحياة الدنيا ويؤم المعاني، فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم في الدنيا والآخرة، يوم يفوز بالربح المبيضة وجوههم الناظرة، وبرجع المسودةُ وجوههم بالصفقة الخاسرة. وجاء في تفسير القرطبي لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ ﴾ أي في قصة يوسف وأبيه وإخوته، أو في قصص الأمم. عبر أي فكرة تذكرة وعظة. ﴿ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾ أي العقول. وقال محمد بن إسحاق عن الزهري عن محمد بن إبراهيم بن الحار التيمي: إنّ النبي يعقوب عليه السلام عاش مائة وسبعا وأربعين سنة، (147سنة). وتوفي أخوه عِيصُو معه في يوم واحدٍ، وقبر في قبرٍ واحدٍ. فالحكيم من أخذ العبرة والعظة من ما ورد من قصص الأمم السابقة.

المحور الرابع: عرض أهم النتائج وسبل وآليات المعالجة لتفعيل الحكمة وبعض التوصيات والاقتراحات

تم بحمد الله وتوفيقه البحث الذي حاولت فيه إبراز بعض معاني المفاهيم الواردة والحكمة في القرآن الكريم والبيان الشرعي للموضوع مع بيان بعض جوانبه، والذي توصلنا من خلاله إلى النتائج التالية:

**أولًا: عرض أهم النتائج وسبل وآليات المعالجة لتفعيل الحكمة:**

1 - أن مفهوم الحكمة مرادف لمفهوم

التأمل التدبر والتفكر، وهو نافع للعبد في معاشه ومعاده، وأنها مطلب ضروري والتحلي بما يصل بالفرد إلى بلوغ درجات عالية من الكمال.

2 - أنّ الحكمة ذات قيمة عقلية ونفسية كبرى تجعل صاحبها قوي الإيمان متعلقًا بالله ﷻ.

3 - أنّ النصوص من الكتاب والسنة كلها محل الحكمة ولا يتأتى ذلك إلا بالتأمل والتدبر والتفكر، وترتقي بالفكر والعقل والقلب، وهناك أدلة خاصة ذات معنى مباشر أو قريب.

4 - أنّ الحكمة وردت في القرآن الكريم في مواطن كثيرة وهذا يدل على أهميتها وأن لها فوائد عديدة ومعاني جمة ويراد بها الفهم والإصابة في القول والعمل وفهم إسرار التشريع الإلهي ويراد بها السنة والعلم بالدين

5 - وأنّ الرسول ﷺ قد علم أمته الحكمة، وقد أتاها الله ﷻ أنبياءه عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم وغيرهم لعظم شأنها لذلك كان التزام الحكمة أمر ضروري في حياة الناس خاصة عند الدعوة إلى الله ﷻ.

6 - أنّ الحكمة التي وهبها الله ﷻ للقمان هي العلم والعمل به والإصابة في الأمور. وأن قصص القرآن الكريم والعديد من آياته لهي أعظم سور تتجلى فيها الحكمة بكل أبعادها.

7 - أنّ الإسلام قد سبق الحضارات بكل العصور إلى مفاهيم الحكمة والتبصر والتأمل والتدبر والتفكر للوصول إلى حياة مليئة بالحِكم والإيجابيات، وتلبي متطلباتها.

8 - وقد يراد بالحكمة الكلام المحكم الصواب أو المقالة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة، و قصص الأنبياء مادة ثرية للتبصر والحكمة ونماذج يحتذى بها.

**ثانيًا: التوصيات والاقتراحات:**

1 - ربط الحكمة والتبصر والتفكر والتدبر في كل مناحي الحياة العملية، من أجل الوصول إلى الحكم المنشودة.

2 - العناية بعلم الحكمة والتبصر، وخاصة في النصوص الشرعية - (الكتاب والسنة النبوية) - ثم الكون بأكمله.

3 - فهم الحكمة والتبصر فهمًا دقيقًا معاشًا عمليًّا، يحتاج إلى بحوث ومتخصصين من أجل إثراء هذا المفهوم وإعطائه حقه.

4 - التزام الحكمة وأنها مطلب ضروري وأنها لن تتحقق ما لم يتظافر التطبيق مع القول الحق والانتفاع من هدي الله ورسله الكرام عليهم الصلاة والسلام، ويجب سلوك مسلك ذوي العلم والتقى لنصل إلى السداد ومجانبة الوقوع في الهفوات التحقق سعادة الدارين.

## الخاتمة:

وخلاصة القول يتبين لنا أنَّ الحكمة هي غير القرآن وغير السنة، عكس ما ذهب إليه الكثيرون ممن اعتبروا الحكمة هي السنة، فالحكمة هي الآراء العقلية الصائبة، والأنبياء أيضا كانوا يجتهدون في الرأي، والنبي ﷺ اجتهد في فهم القرآن وتطبيقه، ومن هنا جاءت السنة النبوية التي هي الفهم النبوي للقرآن، وهي مؤيدة بالوحي في حق النبي ﷺ ، كما يمكننا أن نستخلص بأنّ الحكمة هي إذا عامة لكل الناس الذين يحسنون ترتيب المبادئ الذهنية والاجتهادات العقلية، وفي ذلك قوله تعالى في حق لقمان الحكيم فلم يكن نبيا وإنما كان رجلا حكيما وقد خلد الله كلامه في القرآن في وصاياه العشر لابنه وهو يعظه.

ومن هنا نفهم أنّ العلم بالقرآن لا يحصل إلا بالحكمة التي تتحصل عن طريق التدبر والتفكر واستعمال العقل، وكذلك نخلص إلى أن القرآن الكريم كتاب يجعل من العقل أداة لفهمه وليس كما يدعي الجاهلون أن لا دخل للعقل في الحكم على النقل، وسمى المسلمون الأوائل الفلسفة بالحكمة، إذ اعتبروا أنّ الفلسفة هي نشاط عقلي وترتيب ذهني ينتج عنه الحكم الصحيح لوضع الأشياء في موضعها المناسب، و-الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق الناس بها- ولذلك أطلِق لفظ الحكمة عند اليونانيين على العلم، ثم أطلق على إحدى الفضائل الأصلية، وهي: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدالة، أطلق بعدها على العلم مع العمل و الحكمة هي الفلسفة، أي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم والحكمة معرفة الحقائق على ما هي عليه بقدر الاستطاعة،

وهي العلم النافع المعبر عنه بمعرفة ما للإنسان وما عليه، أو هي معرفة الحق لذاته، ومعرفة الخير لأجل العمل به، فالحكمة بهذا تكون هي إصابة الحقيقة، وكل ما يفيد العلم والعمل به.

## قائمة المصادر والمراجع


1 - القرآن الكريم

2 - الحديث الشريف

3 - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج1، در المعرفة، بيروت، 1379هـ

4 - ابن عاشور محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

5 - ابن الهمام، الكمال محمد بن عبد الواحد: التحرير في أصول الفقه، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.

6 - إبراهيم بن موسى الشاطبي؛ الموافقات، ط1، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية1997.

7 - أبو عبد الله الملقب بفخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ط3، ج15، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ

8 - أبو سعيد محمد ناصر الدين الشيرازي البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط1، ج5، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418.

9 - أبو زكريا محي الدين: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، ج8، دار إحياء التراث العربي، 1392هـ، ص33.

10 - أبو عبد الله محمد بن عمر، الرازي: المحصول؛ تحقيق: طه جابر فياض، ج5، ص 389، ط3، مؤسسة الرسالة، 1418هـ - 1997م.

11 - أبو الفضل جمال الدين محمد، ابن منظور: لسان العرب، ج1، دار صادر، بيروت.

12 - سعيد بن وهف القحطاني: مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله على ضوء الكتاب والسنة، 1/ 23/ 71.

13 - عماد الدين أبي الفداء ابن كثير: تفسير القرآن الكريم: مج1، المكتبة التوفيقية، مصر، 2013.

14 - عبد الرحمان بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط3، ج1، مؤسسة الرسالة، 2000.

15 - الطوفي، سليمان بن عبد القوي؛ شرح مختصر الروضة؛ تحقيق: عبدا لله بن عبدا لمحسن التركي، ج3، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م.

16 - صالح بن عبد الله بن حميد: مفهوم الحكمة في الدعوةط1، ج1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1422، 1/4/31/34/37/45/49.

17 - الجرجاني، السيد الشريف: التعريفات؛ تحقيق: علي بن محمد، ط1، مؤسسة الحسني، 2006م.

18 - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008م.

19 - محمد الأنصاري القاضي زكريا: الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، ، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، ط1، 1991م.

20 - محمد بن جرير: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط1، مج7، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 2001.

21 - محمد سيط طنطاوي: التفسير الوسيط للقران الكريم، ط1، ج8، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دن.

22 - محمد عبد الحي الكتاني الإدريسي الحسني الفاسي: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ط2، تحقق، عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، رابط التحميل على الموقع:

https: //books. google. dz تاريخ التحميل: 18 /10 /2019.

23 - مجموعة المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة ط5، مج 12.

24 - مختار الصحاح للرازي، مكتبة لبنان، بيروت، 1986.

25 - مجموعة من المفسرين: التفسير الميسر، ط2، ج1، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2009.

26 - تدبر-القرآن-الكريم/معاني-البصيرة-ومراتبها-وطريقة-اكتسابها رابط موضوع:

: https: //www. alukah. net/ sharia/0/42335/#ixzz62K6FNsMq تم تحميله بتاريخ: 15/10/2019.

---

**الهوامش:**

1. محمد عبد الحي الكتاني الإدريسي الفاسي: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ط2، تحقق، عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص360. رابط التحميل على الموقع: https: //books. google. dz تاريخ التحميل: 18/10/2019.

2. مجموعة باحثين، بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة ط5، مج 12، ص169.

3. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008م، مادة: (حكم)، ص: 389.

4. ابن منظور؛ أبو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ج1، دارصادر، بيروت، ص143.

5. القاضي زكريا محمد الأنصاري: الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، 1991م، ص73.

6. مختار الصحاح للرازي، مكتبة لبنان، بيروت، 1986. مادة: (حكم)، ص62.

7. الجرجاني، السيد الشريف: التعريفات؛ تحقيق: علي بن محمد، ط1، مؤسسة الحسني، 2006م، ص56.

8. إبراهيم بن موسى الشاطبي؛ الموافقات، ط1، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية1997، ص 98-97.

9. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر؛ المحصول؛ تحقيق: طه جابر فياض، ج5، ص 389، ط3، مؤسسة الرسالة، 1418هـ - 1997م.

10. الطوفي، سليمان بن عبد القوي؛ شرح مختصر الروضة؛ تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج3، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م، ص445.

11. ابن الهمام، الكمال محمد بن عبد الواحد؛ التحرير في أصول الفقه، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ص431.

12. أبو زكريا محي الدين: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، ج8، دار إحياء التراث العربي، 1392هـ، ص33.

13. رابط موضوع: تدبر-القرآن-الكريم/معاني-البصيرة-ومراتبها-وطريقة-اكتسابها تم تحميله بتاريخ: 15/10/2019.

: https: //www. alukah. net/sharia/0/42335/#ixzz62K6FNsMq

14. عماد الدين أبي الفداء ابن كثير: تفسير القرآن الكريم: مج1، المكتبة التوفيقية، مصر، 2013، ص95.

15. أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما، ج3، رقم 3546/ 1371.

16. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج1، در المعرفة، بيروت، 1379هـ، ص 170.

17. رواه البخاري كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، رقم الحديث: (73)، واللفظ له ولمسلم (816).

18. صالح بن عبد الله بن حميد ط4، مج 11، مرجع سابق، ص 169.

19. أبو زكريا محي الدين: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، دار إحياء التراث العربي، 1392هـ، ص513.

20. فتاوى بن تيمية، ج13، 136.

21. تفسير محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط1، مج7، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 2001ص 480.

22. محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ص 723.

23. محمد الطاهر ابن عاشور: المصدر نفسه: ج2، ص 49- 50.

24. عماد الدين أبي الفداء ابن كثير: تفسير

القرآن الكريم، ج1، مرجع سابق، -136 137.

25. أبو عبد الله الملقب بفخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ط3، ج15، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ، ص 105.

26. عماد الدين أبي الفداء ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1، مرجع سابق، 509.

27. أبو عبد الله الملقب بفخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ج6، مرجع سابق، ص517.

28. محمد بن جرير الطبري: تفسير جامع البيان للطبري، ج9، مرجع سابق، 115.

29. تفسير محمد بن جرير الطبري: جامع البيان للطبري، ج20، مرجع سابق، 134.

30. مجموعة من المفسرين: التفسير الميسر، ط2، ج1، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2009، ص118.

31. محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج21، مرجع سابق، ص 152.

32. محمد بن جرير الطبري: تفسير جامع البيان، ج 4، مرجع سابق، ص 400.

33. عبد الرحمان بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط3، ج1، مؤسسة الرسالة، 2000، ص452.

34. محمد سيط طنطاوي: التفسير الوسيط للقران الكريم، ط1، ج8، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دن، ص262.

35. صالح بن عبد الله بن حميد: مفهوم الحكمة في الدعوةط1، ج1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1422، 1/4/31/34/37/45/49.

36. سعيد بن وهف القحطاني: مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله على ضوء الكتاب والسنة، 1/23/71.

37. تفسير الطبري: جامع البيان، مج22، مرجع سابق، ص16.

38. محمد سيط طنطاوي: التفسير الوسيط للقران الكريم، ج14، مرجع سابق، ص99-98.

39. ناصر الدين أبو سعيد محمد الشيرازي البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط1، ج5، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418، ص164.